

معركة الفصحى والعامية في الصين

توحيد اللهجات الإقليمية لمواكبة الركب العالمي

للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

نالعاميات كانت مختلفة تبعا لاختلاف القوميات البالغ عددها خمسين (عدها السياسي لا يتجاوز احدى وعشرين قومية) .

وقد تكونت اللغة الصينية الحديثة من ثلاثة عناصر : الكتابة القديمة والعامية المستعملة واللغة الدخيلة وعناصرها الضئيلة تستمد من اليابانية والانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية بسبب تعاقب التأثيرات الاستعمارية على هذه المنطقة في مختلف العصور وقد دخلت الى الصينية الفاظ عربية عن طريق الانجليزية مثل اريكة وصافا اي متكا من الصوف Sofa (1) بينما اثرت الهندية عن طريق النحلة البوذية .

وقد انطبعت مسطرة العمل بطابع شيوعي تجلى في منهاج التوحيد المكون من ثلاثة مقومات .

(1) مقاومة النظام الرجعي في تطوير اللغة بتركيز كل تطوير على الوعي الوحدوي الجماهيري

(2) توحيد اللغة على اساس التقريب بين الجماهير وتوحيد الثقافات الاقليمية .

(3) اتخاذ اللهجات المحلية وخاصة الشمالية اساسا للفصحى مع اقتباس اصول النحو مما وضعه العلماء المحدثون في كتاباتهم بعد الثورة كمتاللات ماوتسي تونغ المختارة .

بعد اقتبال رئيس الاكاديمية العلمية الصينية للسيد الامين العام للمكتب الدائم للتعريب خلال رحلته الى الصين الشعبية في العام الماضي انعقدت جلسات عمل مع اعضاء في الاكاديمية الصينية لدرس المناهج والاساليب التي يسلكها اللغويون الصينيون لحل مشاكل اللغة والكتابة والحروف وتوحيد اللهجات الجهوية وتحقيق التوازي بين اللغة الصينية الحديثة واللغات العلمية المعاصرة وقد طلبنا من السيد الامين العام الافضاء بارتساماته حول هذا العمل الضخم فقال :

ان ابتداء اللغة الكتابية الصينية يرجع تاريخه الى ما بين الفين وثلاثة آلاف من السنين والغاية التي يستهدفها علماء اللغة الآن والتي ينكبون منذ نحو اربعة عقود من السنين على انجازها هي توحيد اللهجات ومفرداتها والقواعد النحوية وتمكينها من مواكبة ركب الحضارة . ومعلوم ان الفصحى الصينية انبثقت عن العامية بعكس ما وقع للغة العربية وكان لغويو الصين قد طلبوا منذ نحو مائة سنة بالاستعاضة عن العامية وتوحيد اساليبها فلم يأت للمشروع ان يحقق الا ابتداء من عام 1919 حيث شرع في وضع اسس اللغة الحديثة على اساس اللهجات الدارجة وكان الضابط الاساسي لهذه العملية هو ضمان التقارب والتواكب بين لغة العلماء ولهجات الشعب

(1) بالاضافة الى التأثير العربي عن طريق التجار المسلمين الذين اثروا في المجتمع الصيني عامة وفي الاوساط الصينية الاسلامية خاصة .

الخطوط للاستعاضة عنها بحروف الفبتائية وعددها خمسة وعشرون حرفا (في اللغة الصينية 3000 من الخطوط الاساسية اي اول الكلمات المفردة)

ومعلوم ان طريقة الخط هي عبارة عن الرسوم الصينية الحرفية التي سيستعاض عنها بالحروف اللاتينية .

3. توحيد اللغة وتعميم الفصحى الحديثة

مسطرة تأليف المعجم :

وقع الشروع في تأليف المعجم الجديد عام 1955 (بينما يرجع تاريخ اصدار المعجم القديم الى عام 1927) بعنوان « معجم مفردات اللغة الصينية الحديثة » تحت اشراف مكتب تحرير المعجم التابع لكلية بحوث اللغة الصينية الملحقه باكاديمية العلوم الصينية وهو معجم وسيط اساس مصطلحاته اللغة الفصحى الحديثة وهو خاص بالابتدائي والثانوي :

(1) الكلمات وهي مجموعة خطوط ليس لها معنى خاص ، فالخط الرسوم هكذا : 人 معناه الشعب ولكن معناه العام هو الانسان في اللغة القديمة وقد احتفظ به .

(2) المفردات : تتببس من نشرات وكتب حركة التحرير وخاصة مصنفات ماوتسي تونغ في المستوى المتوسط فقط ولاختيار هذه المفردات ضابطان اثنان يرجع احدهما لتاثير الافكار البروليتارية السياسية الحالية التي هي مظهر للملامح الطبقية مثل الكومونات الشعبية Communes rurales والقنزة الكبرى والفرق الانتاجية والاخرى لفصح النظام القديم بدافع اختيار نقدي على ضوء افكار ماوتسي تونغ فلهذا حمل اللغويون على « قاموس اللغة الوطنية » الذي صدر عام 1933 بدعوى امتلائه بالفاظ مقتبسة من نظام تشانغ كاي شيك لا يوجد من بينها كلمات مثل المقاومة والانتاخذ الوطني فمقياس توحيد اللغة يمكن اذن في نظر اللغويين الصينيين المعاصرين فيما يجب ان تعكسه المفردات الجديدة من روح زمنية اي منبثقة عن مبادئ ماوتسي تونغ وعلى هذا الاساس وحده يتم انتقاء المصطلحات والامثال السائرة في العاميات الحديثة وكذلك الجمل التي يضاف اليها شرح للالفاظ الدخيلة المختارة .

والعمل التنسيقي الحالي يسير على نهج محكم فني عام 1956 تأسس مكتب التحرير لتعميم الفصحى المشتركة يشتغل فيه نحو ستة عشر شابا جامعييا

وقد تحقق الان تعميم عناصر اللغة الحديثة باستقصاء دراسة العاميات القومية للبحث عن ضابط التقريب بين الدارجة والفصحى فصدرت بحوث في النحو والبلاغة وخاصة المصطلحات التي يتبلور اختيارها في وضع معجم في شكل اداة طبعة بيد الشعب .

المعجم الصيني الموحد

وخلال الجلسات التي عقدناها في الاكاديمية قدم عضوان في بعض المراكز الجمعية احدهما وهو الاستاذ ليوجيان Liu Jian بحثا حول اللغة الصينية والآخر وهو الاستاذ موهان Mou Heng عرضا حول المعجم مع الاجابة عن كل الاسئلة والملاحظات التي كنا ننديها بين الفينة والاخرى : ونحن نلخص هذين العرضين فيما يلي :

ان وضع معجم صيني يثير مشاكل معقدة تندرج في ثلاثة اقسام :

(1) سبب تأليف المعجم الموحد هو تطوير اللغة ضمن الإصلاح الثقافي العام استجابة لمقتضيات الوحدة الثقافية بين عناصر الشعب الصيني فالوحدة يجب ان تتم طبقا للوازم العصر ومقتضياته وللأوضاع المتجددة في الصين في حقل الاشتراكية والعلوم والتكنولوجيا العصرية مضافا للمفردات الحديثة وابطل استعمال مصطلحات قديمة، نعم تتوفر اللغة الصينية على مفردات غزيرة غير انها لا تستجيب لمطالب المجتمع الجديد فلذلك استعيرت مفردات قديمة صالحة وتولدت اخرى حديثة اصبح الشعب يستعملها في مجال التقنيات فتنوعت بذلك معطيات الفصحى الصينية بترجمة مصطلحات التكنولوجيا الغربية الحديثة مثل بنيسيلين Penicilline أصبحت تسمى تشين مي سو ومعناها عنصر القضاء على السم والالتهاب وهناك طريق ثان هو نصف ترجمة معنوية ونصف لفظية مثل tracteur بالفرنسية او tora بالروسية صارت طوراً - تي Tora-ti اي ماكينة .

(2) العامل الثاني لتركيز اللغة هو النهوض بالثقافة الاشتراكية على ضوء النهضة الاقتصادية القائمة ونظرا لكثرة الحروف لم يمكن طبع معجم مرتب عليها لهذا رتب معجم جديد على خطوط الكلمة وقد طبع عام 1955 باسم « قاموس الصين الجديدة » في 7000 كلمة في جزء واحد مبسط يجعل في متناول الطلبة والباحثين والعمال ، وقد وقع العدول عن

مع عدد قليل من الخبراء القدامى الذين سبق ان ساهموا في وضع المعجم الاول وهناك ايضا خبراء لكل مادة يقومون باختيار ما يتصل باختصاصهم وكلهم طلاب يتخصصون في اللغة بكلية الاداب ويتلقون تكويننا فنيا دقيقا للاضطلاع ببحثهم ويقوم هؤلاء المتدربون باختيار المواد الاولى المستعملة من :

(ا) المصادر الادبية وخاصة المقالات والابحاث النموذجية الاشتراكية .

(ب) مواد العلوم الاجتماعية مثل كتب مدرسية ابتدائية وثانوية وقراءات مبسطة .

(ج) معارف تكنولوجياية .

اما المواد الثانوية فيقتبسونها من المعاجم القديمة كقاموس اللغة الجديدة المطبوع اول عهد التحرير بالاضافة الى المواد الحية المأخوذة من اعمق جماهير الشعب ومن حياته اليومية وعاداته وميوله ومفاهيمه وتعابيرها التلقائية عنها .

وقد انيط هذا العمل الضخم بثلاث فرق جمعت خلال عام واحد 700 000 جزارة (اي بطاقات) اساسية ثم خلال عشر السنوات التالية الى عام 1966 جردت 900 000 جزارة اضافية من المقالات الصحفية والمجلات .

اما اختيار المفردات فانه عملية معقدة تتطلب تحليلا علميا للمفرد وغير المفرد وقد اختير خمسون ألف مفرد من سبعمائة ألف ثم نتج عن فحص ثمان ادى انتقاء ثلاثة آلاف مصطلح اضيف اليها ستة آلاف اختيرت من التسعمائة ألف وهذه الارقام تقريبية .

ولا يتم الاختيار للمصطلحات الاصلح الا بعد جدال عنيف بين الاعضاء الذين ينتهون لمختلف الاقاليم والقوميات ويمثلون مختلف الاتجاهات وذلك حول مقاييس الاختيار اي موضوعيته او الى الانسياق مع الايديولوجية البروليتارية كمتياس للحكم للفظ او عليه غير ان الاتجاه العام السائد هو ضرورة انعكاس السياسة الاشتراكية والمفاهيم الايديولوجية في تركيز الثقافة الجديدة عن طريق مصطلحات جديدة فالمصطلح المختار وتعريفه يتأثران بمقتضيات المجتمع الطبقي القائم فالروح مثلا تعرف بأنها كلمة خرافية وبأن رسالة الماركسية التي لا تؤمن بالاله هي فضح خرافة الروح وقداسة الاديان .

وهاك مثلين آخرين للتدليل على مدى تاثير اللغة وتطويرها بالعامل السياسي ذلك ان مسلاك الاراضي الذين عرفهم القاموس الوطني القديم بأنهم

مالكون للارض يؤجرون فدادينهم للفلاحين في مقابل صاروا يعرفون الان بأنهم مالكون لا يشتغلون وانما يعيشون على حساب الفلاحين .

وللتعبير عن الموت مثلا يقال الوفاة وهي موت المحترم سياسيا في حين ان الموت يعبر بها عن وفاة المحتقرين من خصوم الاشتراكية .

فاللفظ اصبح محط انعكاس لا للمفهوم العلمي او التاريخي او الحضاري وانما هو مرآة الانعكاس الادبولوجي الجديد .

ويستند اللغويون خاصة على ما يسمونه بحكمة الجماهير فالكلمة الاخيرة هي نظريا للشعب في اختيار اللفظ الصالح .

وهناك لجنة للتبادل مكونة من ثلاثة اعضاء تختارهم اللجان او الفرق الثلاث المذكورة والتبادل هنا معناه اعادة النظر في الجزازات وارجاعها الى رئيس كل لجنة للتحخيص فتعاد الجزازة الى صاحبها الاول للتحرير وابداء الرأي من جديد وبعد التصحيح الثاني للجزازات ترجع كل جزازة الى الرئيس العام للفرق الثلاث زيادة في التحخيص ثم تعاد الى واضعها للمرة الثانية لتصحيحها على ضوء التوجيه الجديد وهو التوجيه الناتج عن اقسوال ماوتسي تونغ القائلة بأن القاموس له هدف واحد هو الجماهير فينبغي ان يكون علميا واقعيا مفيدا للشعب اذا اردت له الحياة فلهذا تكلل العمليات السابقة بطبع كل الجزازات في الورق المهترق (ستنسيل) لتوزع على الجماهير من رجال التعليم والجامعة وغير الاميين من العمال والجنود .

اما مفردات العلوم التكنولوجيا فانها تعرض في نهاية الامر على انظار مؤسسات البحوث العلمية لاتقرارها .

وهكذا يرى لغويو المذهب الصيني الجديد ان اللفظ الحضاري العام يخلقه الشعب وقره الشعب اما المصطلح العلمي فان انتقاءه راجع للاختصاصيين واذا كانت الفكرة طيبة في اسلمها لانها تبني قابلية حياة اللفظ على مدى تغلفه في المجتمع واقبال الجماهير عليه فان الايغال في ذلك قد يؤدي الى نوع من الشكليات المصطنعة والحل الوسط الذي نرتبه هو ان العامية اي اللفظ المتغلغل في احشاء الشعب يجب ان يحسب له حساب في تطعيم الفصحى لما ينتج عن التلقائية الجماهيرية احيانا من روعة فطرية وعبق جبلي ، ولكن اتخاذ ذلك اساسا للعمل قد يؤدي الى فوضى لا داعي لها .